احداً لا يرتاب فيه الا يرى الى قوله تعالى وان كنتم فى ريب مما نزلنا على عبدنا الآية
فانه ما ابعد عنهم الريب بل عرفهم الطريق المزيح له وهو ان يجتهدوا فى معارضة نجم نجومه
ويبذلوا فيها غاية جهدهم حتى اذا عجزوا عنها تحقق لهم ان ليس فيها مجال الشبهة
ولا مدخل الريبة وقيل معناه لا ريب فيه للمتقين وهدى حال من الضمير المجرور
والعامل فيه الظرف الواقع صفة للمنفى والريب فى الاصل مصدر رابنى الشيء اذا حصل
فيك الريبة وهى قلق النفس واضطرابها سمى به الشك لانه يقلق النفس ويزيل
الطمانينة وفى الحديث دع ما يريبك الى ما لا يريبك فان الشك ريبة والصدق
طمانينة ومنه ريب الزمان لنوائبه هدى للمتقين تم يهديهم الى الحق والهدى
فى الاصل مصدر كالسرى والتقى ومعناه الدلالة وقيل الدلالة الموصلة الى
البغية لانه جعل مقابل الضلالة قال تعالى انك لعلى هدى او فى ضلال مبين ولانه لا يقال
مهدى الا لمن اهتدى الى المطلوب واختصاصه بالمتقين لانهم المهتدون به والمنتفعون
بنصه وان كانت دلالته عامة لكل ناظر من مسلم او كافر وبهذا الاعتبار قال
هدى للناس او لانه لا ينتفع بالتأمل فيه الا من صقل العقل واستعمله فى تدبر الدلائل
والنظر فى المعجزات وتعرف النبوات لانه كالغذاء الصالح لحفظ الصحة فانه لا يجلب
نفعا ما لم تكن الصحة حاصلة وعلى هذا قوله تعالى وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة
للمؤمنين ولا يزيد الظالمين الا خسارا ولا يقدح ما فيه من المجمل والمتشابه فى كونه
هدى لما لم ينفك عن بيان تعيين المراد منه والمتقى اسم فاعل من قولهم وقاه فاتقى
والوقاية فرط الصيانة وهو فى عرف الشرع اسم لمن يقى نفسه عما يضره فى الآخرة
وله ثلث مراتب الاولى التوقى عن العذاب المخلد بالتبرى عن الشرك وعليه قوله تعالى
والزمهم كلمة التقوى الثانية التجنب عن كل ما يؤثم من فعل او ترك حتى الصغائر
عند قوم وهو المتعارف باسم التقوى فى الشرع وهو المعنى بقوله ولو ان اهل القرى
آمنوا واتقوا والثالثة ان يتنزه عما يشغل سره عن الحق ويتبتل اليه بشراشره
وهو التقوى الحقيقى المطلوب بقوله واتقوا الله حق تقاته وقد فسر قوله هدى
للمتقين على الاوجه الثلثة والآية تحتمل اوجها من الاعراب ان يكون الم مبتدأ على انه اسم
القرآن او السورة او مقدر بالمؤلف منها وذلك خبره وان كان اخص من المؤلف
مطلقا والاصل ان الاخص لا يحمل على الاعم لان المراد به المؤلف الكامل فى تاليفه البالغ
اقصى درجات الفصاحة ومراتب البلاغة والكتاب صفة ذلك وان يكون الم خبر مبتدأ

محذوف

٧٣٩

محذوف وذلك خبرا ثانيا او بدلا والكتاب صفته وريب فى المشهورة مبنى لتضمنه معنى
من منصوب المحل بلا النافية للجنس العاملة عمل ان لانها نقيضتها ولازمة للاسماء
لزومها وفى قراءة ابى الشعثاء مرفوع بلا التى بمعنى ليس وفيه خبره ولم يقدم كما قدم
فى قوله تعالى لا فيها غول لانه لم يقصد تخصيص نفى الريب به من بين سائر الكتب كما قصد
ثمة او صفته وللمتقين خبره وهدى نصب على الحال او الخبر محذوف كما فى لا ضير ولذلك
وقف على لا ريب على ان فيه خبر هدى قدم عليه لتنكيره والتقدير لا ريب فيه فيه هدى
وان يكون ذلك مبتدأ والكتاب خبره على معنى انه الكتاب الكامل الذى يستأهل ان يسمى
كتابا او صفته وما بعده خبره والجملة خبر الم او يكون الم خبر مبتدأ محذوف والاولى
ان يقال انها اربع جمل متناسقة يقرر اللاحقة منها السابقة ولذلك لم يدخل العاطف
بينها فالم جملة دلت على ان المتحدى به هو المؤلف من جنس ما يركبون منه كلامهم
وذلك الكتاب جملة ثانية مقررة لجهة التحدى بانه الكتاب المنعوت بغاية الكمال
ثم سجل على كماله بنفى الريب عنه لانه لا كمال اعلى مما للحق واليقين ثم اكد كونه حقا لا يحوم
الشك حوله بانه هدى للمتقين او تستتبع كل واحدة منها ما يليها استتباع الدليل
للمدلول وبيانه انه لما نبه اولا على اعجاز المتحدى به من حيث انه من جنس كلامهم وقد
عجزوا عن معارضته استنتج منه انه الكتاب البالغ حد الكمال واستلزم ذلك ان
لا يتشبث الريب باطرافه اذ لا انقص مما يعتوره الشك والشبهة وما كان كذلك
كان لا محالة هدى للمتقين وفى كل واحدة منها نكتة ذات جزالة ففى الاولى الحذف
والرمز الى المقصود مع التعليل وفى الثانية فخامة التعريف وفى الثالثة تاخير الظرف حذرا
عن ايهام الباطل وفى الرابعة الحذف والتوصيف بالمصدر للمبالغة وايراده منكرا
للتعظيم وتخصيص الهدى بالمتقين باعتبار الغاية وتسمية المشارف للتقوى متقيا
ايجازا وتفخيما لشأنه الذين يؤمنون بالغيب اما موصول بالمتقين على انه صفة مجرورة
مقيدة له ان فسر التقوى بترك ما لا ينبغى مترتبة عليه ترتب التحلية على التخلية
والتصوير على التصقيل او موضحة ان فسر بما يعم فعل الحسنات وترك السيئات لاشتماله
على ما هو اصل الاعمال واساس الحسنات من الايمان والصلوة والصدقة فانها امهات
الاعمال النفسانية والعبادات البدنية والمالية المستتبعة لسائر الطاعات والتجنب
عن المعاصى غالبا الا يرى الى قوله تعالى ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر وقوله الصلوة
عماد الدين والزكوة قنطرة الاخلاص او مادحة بما تضمنه وتخصيص الايمان بالغيب

Copyright © ... University